

الظواهر الأسلوبية وتجليات التيه في شعر فاروق جويده "أبحث عن شيء يؤنسي" نموذجًا

Stylistic phenomena and manifestations of wandering in Farouk Jweideh's poetry, "I am searching for something to comfort me" as an example

د/ لعدلي حدة*

أستاذة محاضر ب، جامعة البليدة 2 (الجزائر).

haddaladli1234@gmail.com

تاريخ الإرسال 2025-07-19 تاريخ القبول 2025-10-20 تاريخ النشر 2025-12-17

ملخص:

يعدّ الشعر العربي مرآةً لتحولات فكر الإنسان والمجتمع، وقد عرف منذ العصر الجاهلي دورًا مركزيًا في حفظ الذاكرة الجمعية والتعبير عن القيم الحضارية. ومع التحولات الحديثة، شهد هذا الفن تطورات في الشكل والمضمون، أبرزها بروز "الشعر الحر" و"قصائد النثر"، وتأتي أهمية هذا البحث من تناوله لتجربة الشاعر فاروق جويده، تحديدًا قصيدته "أبحث عن شيء يؤنسي"، بوصفها نموذجًا لتجليات الغربة الداخلية وتيه الذات. تنطلق إشكالية الدراسة من سؤال حول الكيفية التي تسهم بها الظواهر الأسلوبية في بناء الموقف الشعري وتحسيد حالة القلق والخذلان. وقد اعتمد البحث مقارنة أسلوبية تأويلية، كشفت عن توظيف الشاعر لتقنيات لغوية وإيقاعية تعمق البعد الوجداني للنص. ومن أبرز النتائج أن جويده استطاع بأسلوبه أن يعبر عن أزمة الإنسان العربي في ظل الاضطراب، من خلال تكثيف شعري يُحمّل اللغة دلالات وجودية وقومية عميقة.

الكلمات المفتاحية: الشعر، التحول، الظواهر الأسلوبية، التيه، فاروق جويده.

Abstract

Arabic poetry has long served as a mirror reflecting human and societal transformations. Since the pre-Islamic era, it has played a central role in preserving collective memory and expressing civilizational values. With modern transformations, this art form has evolved in both form and content, most notably with the emergence of **free verse** and **prose poetry**.

The significance of this study lies in its focus on the poetic experience of **Farouk Goweda**, particularly his poem "*I Search for Something to Console Me*", as a model for the expression of **inner alienation** and **existential disorientation**. The core issue addressed is how **stylistic phenomena** contribute to shaping the poetic stance and portraying a state of anxiety and disillusionment.

The study adopts a stylistic and interpretative approach, revealing the poet's use of linguistic and rhythmic techniques that deepen the emotional resonance of the text. One of the key findings is

that Goweda, through his distinctive style, succeeds in articulating the crisis of the Arab individual amidst turmoil, employing poetic density that infuses language with profound existential and national significance.

Keywords: poetry, transformation, stylistic phenomena, disorientation, Farouk

1. مقدمة:

يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

يعد الشاعر المصري "فاروق جويده" نتاجا للمدرسة الرومنسية وواحد من رواد الشعر الحر في النصف الثاني من القرن العشرين؛ كما أنه من أبرز الشعراء الذين حملوا لواء التجديد في القصيدة العربية، حيث اتسم شعره بالتصوير الفني القائم على انتقاء المفردة المعبرة والجملة الدالة، على أشعاره تتراوح بين القصر والطول واضطراباتها بين الفينة والأخرى في التعبير عن الموقف حتى غدت نفسيته في خضم التيه تبحث عن المثالية والمؤانسة بيد أن وطأة الحياة سرعان ما تقف حجرة عثرة، بل عقبة كؤود في الخروج من ظلمة التيه ويبقى رغم ذلك "فاروق جويده" في لحظة استفاقة وفسحة راحة أمام مواقفه التي طالما عبر عنها سواء كانت ذاتية أو جماعية وهو ما ورد في القصيدة "أبحث عن شيء يؤنسني" و التي جزأها إلى مجموعة مقطوعات سيمتها الانكسار في زمن دوار لم يعد ثابتا ثبوت موقف الشاعر، ومن ثم اقتضت وطأة التيه لديه مبدئية الوقف تلبس أسلوب متفرد يعكس دواخل منهارة أبرزها اليأس والقهر وثقل الحياة .

ومن هنا بان لنا الوقوف على معمارية النص وهندسته بهدف تبيان مكونات النص عبر ظواهر أسلوبية وظفها "جويده" لغاية البوح بالفكرة المكونة وإيصال الردود عليها من خلال مواقفه واعتباراته الشخصية التي أكدها في مقطوعاته واعتبرها جدارا خصبا لا يمكنه أن يتداعى مهما كانت الضغوطات. وهل ساهمت أساليبه في طرح أفكاره، وبناء موقفه؟

2. الظواهر الأسلوبية في قصيدة أبحث وأبعادها الفنية:

1.2 توطئة:

يتسم النص الأدبي بالظواهر الأسلوبية أيًا كان شكله ونمطه الفكري ولما أمعنا النظر في النص "الجويدي" "أبحث عن شيء يؤنسني" استرعى انتباهنا اقتصره على عدة ظواهر أسلوبية منها: (التكرار/الإنزياح /الصورة الشعرية)، والحق أن هذه الظواهر كفيفة لأن تلملم المعطيات النفسية للشاعر عبر نصّه من ترددات وتصويرات نلمسها في الجمل المقطعية من القصيدة.

2.2 ظاهرة التكرار:

يُعدّ التكرار، أو ما يُعرف أيضاً بـ"الترداد"، من أبرز الأساليب البلاغية التي تلجأ إليها اللغة الشعرية والنثرية على حدّ سواء لما لها من قدرة على تعزيز الدلالة، وتكثيف المعنى، وشحن التعبير بشحنة شعورية إضافية. ويُقصد بالتكرار في أبسط تعريفاته: إيراد الشيء مرة بعد أخرى، سواء أكان لفظاً أو معنىً.

وقد تناول عدد من البلاغيين واللغويين مفهوم التكرار بتفصيل دقيق، ومن بينهم السجلماسي (ت 704هـ)، الذي عرّفه بأنه: "إعادة اللفظ الواحد بالعدد، أو بالنوع، أو إعادة المعنى الواحد بالعدد أو النوع مرتين فأكثر ويستند في تحليله إلى أن التكرار يُعدّ من الأجناس البلاغية العليا، كونه يقوم على تشابه بين عنصرين يشتركان في جوهر واحد، سواء كان ذلك على مستوى اللفظ أو على مستوى المعنى"¹

وانطلاقاً مما سبق، يُعدّ التكرار من الظواهر اللغوية الأسلوبية البارزة التي حضرت بقوة في كثير من النصوص العربية بمختلف عصورها وأجناسها، لما لها من دورٍ جمالي ودلالي في بناء الخطاب وتوجيهه. وقد تجلّت هذه الظاهرة بشكل واضح في القرآن الكريم، الذي يُعدّ أرقى نموذج لغوي وإعجازي، حيث استخدم التكرار لأغراض بلاغية وتربوية وروحية متعددة، كالتوكيد، والترسيخ، والإقناع، والإثارة الشعورية.

كما احتل التكرار مكانة مهمة في الشعر العربي القديم، وخاصة في الشعر الجاهلي، حيث كان يُستخدم لتأكيد الانفعال، وتقوية الإيقاع، وتحقيق التوازن الموسيقي، إلى جانب إبراز المعاني المفتاحية في النص. واستمرت هذه الظاهرة في الشعر العمودي الكلاسيكي، وتطوّرت مع ظهور الشعر الحر (شعر التفعيلة)، حيث اكتسبت أبعاداً جديدة تتعلق بالتعبير عن التمزق النفسي، والقلق الوجودي، والانفعال الداخلي، لا سيما في ظل تغيّر البنية الفنية للقصيدة الحديثة.

3.2 التكرار وأبعاده الفنية في القصيدة:

إنّ التكرار في هذه القصيدة لا يُعدّ مجرد حشو لفظي أو تكرار اعتباطي، بل يتجاوز ذلك ليُصبح أداة بنائية ذات وظيفة دلالية وإيقاعية محورية في بنية النص الشعري. إنه عنصر فني واعٍ ومقصود، وظّفه الشاعر لإبراز الحالة النفسية القلقة والمضطربة التي تعيشها الذات الشاعرة، في ظل شعور دائم بالتيه والافتقاد والخذلان.

فهذا التكرار لا يكرر الألفاظ من أجل التجميل أو التوكيد فقط، بل يُمثّل انعكاساً شعورياً لتجربة وجودية عميقة، تعبّر عن التمزق الداخلي والبحث المستمر عن الذات الضائعة أو المسلوقة في عالم لا يمنح الطمأنينة ولا يقدّم أجوبة. ويتجلى هذا التكرار بشكل واضح ولافت في مطلع كل مقطع شعري من القصيدة، حيث يُعاد اللفظ أو التركيب ذاته، ليشكّل علامة دالة على الاستمرارية والدوران حول فكرة الأُنس المفقود، وكأنّ الذات تعيد السؤال ذاته بصيغ مختلفة، دون أن تجد ما يُشفي غلتها أو يُبدّد غربتها.

وبهذا، فإن التكرار في هذا السياق يتخذ وظيفة تعبيرية ونفسية وموسيقية، تساهم في تكثيف الإيقاع الداخلي للنص، وتعميق الإحساس بالوحدة والضياع، وجعل المتلقي شريكاً في تجربة القلق والانتظار والتوجّس التي يعيشها الشاعر، حيث يقول:

"في هذا الزمن المجنون"²

افتتح الشاعر قصيدته بجملة محورية صَدَّرَ بها فكرته الأساسية، وهي جملة تكررت سبع مرات في مستهل كل مقطع من مقاطع القصيدة، بشكل منتظم ولافت. هذا التكرار لم يكن تكراراً عفويّاً أو شكليّاً، بل جاء وظيفيّاً ومقصوداً، يخدم بناء النص من حيث الشكل والمضمون، ويكشف في الوقت ذاته عمق المعاناة النفسية والتهيه الوجودي الذي تعيشه الذات الشاعرة.

إنّ إعادة هذه الجملة في مطلع كل مقطع تمثّل نوعاً من اللازمة الأسلوبية التي تمنح النص تلاحماً داخليّاً ووحدة عضوية، حيث تُربط المقاطع المختلفة بخيط دلالي وإيقاعي مشترك، يُحكم إيقاع القصيدة ويمنحها بنية متماسكة. كما أن هذا التكرار يُسهم في خلق إيقاع داخلي متوتر يعكس طبيعة الحالة النفسية المضطربة التي يعبر عنها الشاعر، حيث يشعر المتلقي أن الزمن في القصيدة لا يسير نحو الأمام، بل يدور في حلقة مغلقة من القلق والضياع والتوق المستمر إلى الأُنس الغائب.

وبذلك يُمكن القول إن هذا التكرار البنيوي لا يؤدي فقط وظيفة إيقاعية أو تنظيمية، بل يتجاوز ذلك إلى أن يُصبح أداة دلالية تعمّق المعنى وتوطّر تجربة التيه في قالب زمني ونفسي معلق، يعيد إنتاج الشعور بالخذلان والفقد مع كل مقطع، في حركة دائرية لا تجد منفذاً أو نهاية.

مثل تكرار عبارة "أبحث عن نفسي" في مطالع عدة يقول الشاعر:

"أبحث أحيانا عن نفسي"³

"أبحث أحيانا عن نفسي في باقة زهر"

4

"أبحث عن نفسي في الطرقات"⁵

"أبحث عن شيء يؤنسني"⁶

إنّ الإلحاح على تكرار فعل "أبحث" في مطالع المقاطع ليس مجرد تكرار لغوي سطحي، بل هو تفجيرٌ دلالي لحالة قلق داخلي عميق يعتري الذات الشاعرة. هذا الفعل المتكرر يمثل حركة دؤوبة للذات في محاولة مستمرة للنجاة من واقع داخلي مضطرب، واقع لم تجد فيه الخلاص ولا الطمأنينة، وهو ما يكشف عن هاجس وجودي يهيمن على النص، يتمثل في الضياع، وانعدام اليقين، والتشظّي النفسي.

فالبُحث في هذا السياق لا يعني فقط طلب الشيء أو محاولة الوصول إليه، بل هو فعلٌ ينطوي على صراع داخلي، وعلى سؤال دائم عن الهوية والكيونة. إنّ تكرار "أبحث" أشبه بنداء داخلي يتردد في أروقة الذات المظلمة، حيث تغيب الأجوبة ويكثر الانكسار، ويصبح البحث نفسه وسيلة للبقاء، وليس للوصول.

في المقطع الأول من القصيدة، يظهر البحث وكأنه صرخة من قلب اليأس، بحث عن معنى، عن وجه، عن صوت، أو عن نور يبدد ظلمةً وجودية كثيفة. وليس لهذا البحث تسمية أصدق من كونه بحثاً عن الذات الضائعة، الذات المكلومة، التي تاهت بين خيبتها وفقدان الأنس.

أمّا في المقطع الثاني، فنلمح تحوُّلاً طفيفاً، إذ يوجه الشاعر بوصلة بحثه نحو علامة للخلاص يعتقد أنه قد يجدها في "باقعة زهر". وهنا تتحوّل الحركة من بحث مجرد إلى بحث مشحّص يحمل رمزية الأمل والانفتاح على الحياة، ولو من باب بسيط وجمالي. غير أن هذه الإشارة لا تخلو من التوجّس، فهي لا تأتي كخلاص حاسم، بل كإيماء هشة، وربما وهم موقت بالخلاص.

ومن هنا يبرز سؤال مشروع: هل كان الشاعر يعاني في أعماقه من عزلة موحشة وجحود إنساني؟ إنّ اختياره للزهر، رمز الجمال والعدوبة، قد يوحي بحنين دفين إلى الدفء الإنساني المفقود، وإلى حالة من الصفاء النقي التي لم يعد يراها في عالمه، وهو ما يعزّز قراءة الشاعر كذات معزولة، مهمّشة، تبحث في الجمال الطبيعي عما لم تجده في الناس. قد يكون ذلك وهذا حين يؤكّده بقوله:

"ألحها ضوءاً يتهدى في طلعة بدر

تصرخ في ألم كالعصفور بلدغة قهر

فأرى الأيّام على صدري كتلال الجمر"⁷

ثمّ يمضي الشاعر في سرديته الشجية، غارقاً في عالم التيه الوجودي الذي يستبدّ به، ليُجدد التأكيد على أنّه لا أنيس له في هذا العالم الموحش سوى قلمه ودفتر أوراقه. فهما الرفيقان الوحيدان اللذان يحتملان أنينه ويحتويان صمته، إذ يجد فيهما المتنفس الوحيد للتعبير عن وجعه، والتخفيف من ثقل وحدته، وكأنّ الكتابة صارت فعل نجاة مؤقت من خنادق العزلة والصمت.

غير أنّ هذا الملاذ. أي القلم. لا يخلو هو الآخر من خيانة أو تمرد، كما يصوره الشاعر. فالقلم، الذي يفترض أن يكون معبّراً عن الداخل، يبدو أحياناً متمرداً على صاحبه، عصياً على البوح، متردداً في الإفصاح، وكأنّه تأثر هو الآخر بقساوة الواقع وجفاف الحياة. هنا يتبدّى لنا أنّ العزلة التي يعيشها الشاعر ليست فقط عزلة جسدية أو اجتماعية، بل عزلة وجودية وأدبية أيضاً، حتى القلم. رمز الحضور. تحوّل إلى أداة مقاومة للصمت ثم خاتمة. وفي هذا المشهد الشعري المكثف، تتحوّل العزلة إلى سهام تطعن الذات من كل صوب، وكأنّ القدر ذاته تواطأ على تجييش مشاعر الوحشة والغربة في وجهه دون رحمة، فكلّ ما حوله. حتى أدواته الخاصة. انقلبت ضده.

ورغم هذا كله، يُفاجئنا الشاعر في المقطع الثالث من القصيدة بموقف يملأه الكبرياء والصمود؛ فلا خضوع ولا انكسار. ففي ذروة الشعور بالخذلان، تتولد لحظة مقاومة صامتة، حيث تتشبث الذات بكرامتها الداخلية، وتعلن رفضها للهزيمة. إنها لحظة تحدٍ صامت، لا يحتاج إلى صراخ، بل يكفي أن يُكتب ويُقال في صمت القلم والورق. وبذلك؛ تتشكل في هذا المقطع جدلية قوية بين الانكسار الخارجي والصمود الداخلي، حيث تظل الذات الشاعرة، رغم عزلتها وخذلان العالم، قادرة على أن تتخذ موقفًا يعبر عن كرامة مبدئية ورفض للانهازم، حتى وإن كان القلم نفسه يخذلها أحيانًا. يقول:

"لا أفتح بابي للغرباء

لا أعرف أحدا"⁸

هذه اللاآت المتكررة يجد لها "جريدة" مبراً بأن الباب الموصدة فوهة إلى الضوء وأنّ هذا الزمن إمّا أن تغدو فيه رجلاً أو تقع في وهد الأحزان. يقول:

إمّا أن تغدو دجّالاً

أو تصبح بئراً من أحزان

لا تفتح بابك للفئران

كي يبقى فيك الإنسان"⁹

يبقى السؤال الجوهرى بعد عرض تيه الشاعر : من يقف وراء هذا اليأس؟ من صنع مأساته وسلب خلاصه؟ تأتي هذه المقطوعة على شكل طلاس شعري، تستوجب التأمل والغوص في المعاني للكشف عمّن انسحب أو تخلّى وسط صراع داخلي محتدم.

وفي عمق النص، تتجلى حركة روحية مزدوجة: انكفاء على الذات في محاولة لفهم حقيقتها الضائعة، وانفتاح على عالم خارجي يُرى كامتداد للسجن الداخلي، يعكس الخوف والخراب. في هذا السياق، يتحول النص إلى احتجاج أخلاقي حاد، يُدين زمناً "مجنوناً" وواقعاً مليئاً بـ"الدجالين" و"الصوص"، ليصعد الخطاب من البوح الذاتي إلى نقد اجتماعي وجودي دون أن يفقد حساسيته الشعرية.

ومع ذلك؛ لا يستسلم الشاعر، بل ينهض ثائراً رافضاً للهزيمة، لتصبح القصيدة صرخة تمرد في وجه الجنون، وإعلاناً عن إيمان عميق بإمكانية تغيير المصير. فقط لأنه أراد أن يقول :

" فالعمر الجامح يتحدّى كلّ الأسوار

يعبر آلاف الممنوعات

ويرفض أن يغدو شبها.... وظلال غبار

يرفض أن يصبح دجالاً¹⁰

يجسد تكرار الشاعر لفعل "الرفض" موقفًا ثابتًا وإصرارًا على كسر القيود، وإسقاط الأقنعة، وتجاوز الصمت. إنه قرار الحسم والثورة، نداء للنصر رغم الانكسار، ينبض بالأمل والثقة في القدرة على الوقوف من جديد بعد ميله يقول:

"نفسى أعرفها... إن سقطت..."

ستعود وتبني أجنحة

سوف تحطم صمت القبر...

سوف أغني فوق الريح¹¹

يقول أيضا عن الشمس التي ترمز لذاته المليئة بالحياة:

ستعود وتنجب ألف نهار¹²

تبدو العودة هنا حتمية لا مفرّ منها، فالشاعر يعلنها بثقة كقرار لا رجعة فيه، مؤمناً بها رغم جنون الزمن ودماره النفسي. ويأتي فعل "ستعود" ليجسد أمله العميق وحلمه الثابت بالرجوع، مهما طال التيه. مؤكداً ذلك من خلال المقطع السادس من القصيدة حين يقول:

"الناس تقول بأنّ الموت نهاية عمر

وأنا لا أخشى طعم الموت

ولا أخشى أشباح القبر"¹³

يظهر جلياً من خلال أداة النفي "لا" والفعل "أخشى" أنّ الشاعر يقرر ويجسد فكرته ويثبت وجوده بعد التيه الذي تجذّر في ذاته التي تصارع الموت؛ إلا أنه لا يخاف ولا يخشى.

3. التكرار الداخلي للفعل المضارع:

1.3. توطئة:

إن تكرار الأفعال المضارعة لا يمنح القصيدة فقط إحساساً بالاستمرارية والديمومة، بل يعكس كذلك حالة انحباس الذات في زمن حاضر خائق، يفتقر إلى الأفق المفتوح ويبدو محاصراً بين حدود ضيقة. فهذه الأفعال تدل على حركة متواصلة لكنها محاطة بقيود وموانع لا تسمح بالاعتناق الكامل، ما يبرز التوتر الداخلي والصراع الوجودي الذي تعيشه الذات.

وبذلك، تتحول الأفعال إلى أدوات تعبيرية حيوية تكشف عن رغبة متأججة في كسر الجمود وكسر أفق التوقع المألوف لدى القارئ، وتجسيد تجربة تيه واغتراب نفسي. كما أنها ترسم صورة ذاتية تتأرجح بين المقاومة

والانكسار، بين الرغبة في التغيير والتشبث بالواقع المعاش، فتغدو القصيدة متناً ينبض بالحركة، متشابكاً مع تدفق مشاعر القلق والأمل في آن واحد.

تعدّ الأفعال في هذه القصيدة بمثابة المحرك الحيوي والنابض للنص، الذي يشحنه الشاعر بتناقضات عميقة ومتنوعة تظهر من مقطع إلى آخر. هذه الأفعال، لا سيما الأفعال المضارعة مثل: أمضي، أعرف، نتبادل، تسقيني، أدور، تتسرب، تغوص، يتصاعد، تغيب، "يطويني"، "يثور"، "يقتحم"، "يتكسر"، "تتوارد"، "يعبر"، "يرفض"، "تلعب" دوراً رئيسياً في تشكيل الإيقاع الداخلي للنص، وتجسيد حركة الذات الشاعرة المضطربة والمتمردة.

2.3 الأثر الجمالي للتكرار:

ينبثق الإيقاع في هذه القصيدة ليمنحها نغمة إنشادية شجية، تملأ النص بجو من الحضور الموسيقي والدرامي في آن واحد. يُعزز هذا الإيقاع المعنى ويؤكد، إذ يتحوّل التكرار إلى أداة فعّالة للتشديد على المضمون، فيعبر عن تردّد الذات المتأرجحة بين الأسئلة المصيرية التي لا تهدأ. هذا التكرار ليس مجرد تكرار لفظي، بل هو تعبير حي عن حالة نفسية وروحية تعكس توتراً داخلياً عميقاً، يتجلّى من خلال صدى الأسئلة التي تعود باستمرار في النص.

يتميز هذا النص بنبرة اعتراف صادقة وعميقة، حيث يتخذ موضوع «البحث عن الذات» موقعاً محورياً يعكس كل التوترات الوجودية التي تكتنف الشاعر. إنه صوت إنسان يعاني من مأزق الهوية في عالم مضطرب لا يستقر، يصارع نفسه في فضاء تتداخل فيه حدود الحقيقة مع الحلم، وتتنازع فيه مشاعر الخوف والرغبة، وتمتزج فيه لحظات الطفولة بالشيخوخة. عبر هذه المشاعر المتشابكة، يصوغ الشاعر اعترافاً درامياً يعج بالتوتر الصامت، والصراخ المكتوم، تلك الحالة التي تعبر عن قلق دائم وحيرة وجودية لا تنقطع.

ويأتي أسلوب "فاروق جويده" في هذا النص متمسكاً بتردد موجي مبني على الإلحاح والتكرار المتجدد، ما يخلق جواً شعائرياً يُشبه الطقس الديني أو الطقوسي، حيث تتحول القصيدة إلى مقام إنشادي وجودي يُشبع الروح ويستحضر الألم العميق. هذا الأسلوب لا يكتفي بالكشف عن عمق الوجد النفسي فحسب، بل يمنح القارئ إيقاعاً داخلياً متأججاً يعكس اضطراب الذات التي لا تهدأ في طرح السؤال ذاته بأشكال وأساليب متجددة، لكنها لا تصل إلى جواب نهائي، بل تبقى في دائرة مفرغة من البحث والتكرار.

وهكذا، ينكشف النص عن حركة دائرية مغلقة توحى بشعور المطاردة القلقة للذات نفسها، التي تحاول جاهدة الإمساك بصورة واضحة "لنفس" إلا أن هذه الصورة تظل متحركة، هاربة، لا تثبت إلا في لحظة عابرة من الانخفاف، سرعان ما تنزلق بعيداً لتعيد الذات إلى بداية التساؤل.

4. ظاهرة الإنزياح في قصيدة أبحث عن شبيء يؤنسني

1.4 مفهوم الانزياح:

تطور مفهوم الانزياح بشكل ملحوظ في الدراسات النقدية العربية الحديثة والمعاصرة، ليصبح من أبرز الظواهر الأسلوبية التي تميز النصوص الأدبية، خصوصاً الشعرية. فالانزياح يمثل خروجاً عن المألوف في اللغة والأسلوب، وهو ما يمنح النص الشعري جمالية خاصة، تعبر عن تحارب شعورية وفكرية متفردة. مع ظهور الشعر الحر، أصبح الانزياح أداة ضرورية تجسد تحول الخطاب الشعري من الشكل التقليدي إلى ما هو أكثر تأويلاً ورمزية، حيث يلجأ الشاعر إلى كسر القواعد اللغوية والأسلوبية ليفتح آفاقاً جديدة من التعبير.

يرجع الباحث "جون كوهن" أصل مفهوم الانزياح إلى أفكار كل من برينيو والشاعر فاليري، حيث اعتبر أن الكلام يصبح منازحاً عندما يخرج عن الاستعمال الشائع والمألوف. وهذا الانزياح ليس خطأً أو زلة لغوية، بل هو خطأ مقصود تحركه دوافع جمالية وفنية، إذ يشكل الانزياح الأسلوب الخاص بالمبدع الذي يميّزه عن غيره. ويؤكد "كوهن" أن المبدعين يتشاركون في استخدام الانزياح كطريقة موحدة، ولكن كل منهم يبدع انزياحات فردية تميز تجربته الشعرية عن غيره¹⁴، إنّ الانزياح هو تغيير في نظام القصيدة ومضمونها وهو نوعان الانزياح التركيبي والانزياح الدلالي.

وقد ركزنا في قصيدة "أبحث عن شيء يؤنسني" الانزياح الدلالي ممثلاً في الصورة الشعرية لما تزخر به من رمزية وحضور في ثنايا النص الشعري لتأسر به المبدع قبل المتلقي وتدفعه إلى تحليل مدلولاتها، ف"الصورة الشعرية تكمن في عبقرية الشاعر حيث تمكّنه من عملية التصوير الفني وربط علائق اللغة أي الألفاظ بعضها ببعض في تضام تام حيث لا تدرك هذه العلاقة إلا بالعقل"¹⁵ و الانزياح التركيبي ممثلاً في التقديم والتأخير الذي يعدّ من أبرز الظواهر الأسلوبية والبلاغية قديماً وحديثاً فهو تغيير ترتيب الكلام أو الجمل من أجل البلاغة أو إبراز فنيات الشاعر على مستوى القصيدة وهو ما يقدم لهذه الأخيرة خصوصية وتأثيرات جمالية .

2.4 الصورة الشعرية في القصيدة:

تعد الصورة الشعرية من أهم مقومات النص الشعري، إذ تزخر القصائد بالصور الحسية والاستعارية، والمجازات العميقة التي تساهم في رسم البديع والبيان، وتعد أداة جوهرية في التعبير عن التجربة الداخلية للشاعر. فالصورة ليست مجرد زخرفة لغوية، بل هي وسيلة أساسية لاستحضار الأبعاد الجمالية والإبداعية للنص، عبر استثمار الخيال في إبراز القيمة الفنية التي يطمح إليها المبدع. كما نلاحظ اعتماد الشاعر في قصيدته: "أبحث عن شيء يؤنسني" على مجموعة متنوعة من الصور الشعرية مثل: (التشبيه، الكناية، والاستعارة) بأنواعها المختلفة تُثري النص وتعمق معانيه، كما تجسد الأبعاد العاطفية والوجدانية للقصيدة، مما يجعل النص ينبض بالحياة ويكشف عن عمق التجربة الإنسانية التي يعبر عنها الشاعر.

3.4 الصور الحركية:

تحمل عبارات مثل: "دوامة بؤس تحملنا"، و"فيطويني صمتي"، و"قلمي يتمرد"، و"تغوص بحسي"، و"أمضي كالطيف"، و"تسرب في قلبي"، و"أدور وأعطيها كأسِي"، و"الخوف الحائر في العينين"، و"هموم زمانك

تؤلني" صوراً شعرية غنية بالحركة والرمزية. هذه العبارات تنقل إحساساً بحالة باهتة وطيفية توحى بالتلاشي والضياع، وكأنها رسم دقيق لحالة نفسية متشظية تواجهها الذات الشاعرة.

وقد استخدم الشاعر هذه الصور كما لو كانت كائنات بشرية تتحرك وتتفاعل، تتداعى وتتبدل عبر مقاطع القصيدة المختلفة، لتجسد لنا المشاعر المتنوعة التي تملأ النص من حزن عميق وقهر مكبوت. هذه الصور الحسية لا تقتصر على وصف المشاعر فقط، بل تخلق فضاءً ديناميكياً ينبض بالانكسار والتوتر، حيث يتحول الألم والخذلان إلى كيانات حية تلتف حول الشاعر، فتؤسس بذلك لوحة تعبيرية تعكس الواقع الداخلي المضطرب وتعكس جو القصيدة العام بكل ما تحمله من تلوينات وجدانية متباينة.

بهذه الطريقة، تصبح الصور الشعرية عناصر فاعلة، ليس فقط في بناء النص، بل أيضاً في نقل التجربة الإنسانية بكل تعقيداتها وأبعادها النفسية، مما يمنح القارئ فرصة للغوص في عمق الشعور ومشاركة الشاعر في رحلته الداخلية.

5.4 الصور الحسية البصرية:

تتجلى في عبارات مثل: "أبحث عن نفسي في باقة زهر"، و"ألحها ضوءاً يتهدى في طلعة بدر"، و"تلوح كطيور الفجر"، و"يتصاعد صوتي حين أراها" مجموعة من الصور الضوئية الزاهية التي تلمح إلى لحظات من الأمل والضوء في ظلام التيه والضياع. هذه الصور تعمل كرموز تعبيرية محملة بالدلالة، حيث تحاول الذات أن تنتشل نفسها من غياهب العتمة والظلام النفسي، لكنها تبقى خافتة وهشة، تعبر عن حالة عابرة لا تستقر، تكاد تلمح فيها بعض أشعة النور لكنها لا تتلبس بها بالكامل.

إن هذه الصور الضوئية الزاهية ليست مجرد وصف جمالي، بل هي تشخيص دقيق لحجم المعاناة والانكسار الذي يعيشه الشاعر أثناء بحثه المضي عن ذاته المفقودة. الضوء في هذه الصور لا يمثل فقط الأمل أو الفرح، بل يعكس أيضاً هشاشة النفس التي تسعى جاهدة إلى الاستيقاظ والظهور وسط ظلال اليأس والخذلان. فالتهدى في طلعة البدر وتلوح طيور الفجر يشيران إلى بداية فجر جديد محتمل، لكنه بعيد المنال، مما يعزز الإحساس بالتردد وعدم الاستقرار.

بهذا الأسلوب التصويري، ينجح الشاعر في نقل تجربة وجدانية معقدة، تعكس صراعات الذات بين الظلام والضوء، بين الانكسار والرغبة في الخلاص، وبين التيه والعودة إلى الذات. فالصورة الضوئية هنا تعبر عن أمل هش لكنه حاضر، يشق طريقه عبر الظلمات، ويرسم خارطة نفسية تنتقل بين اليأس والتطلع، مما يجعل النص ينبض بالحياة والعمق الإنساني في آنٍ واحد.

6.4 الصور الجسدية:

تعتبر الصور الشعرية مثل: "تسقيني أسكر"، و"تغوص بحسي"، و"تسرب في قلبي، عقلي" عن تداخل التجربة النفسية مع الشعور الجسدي بشكل عميق وحميمي، مما يجعل الوجد الداخلي يتجسد في إحساس ملموس

وشديد القرب من الذات. هذه العبارات تنقل لنا حالة من الاندماج بين الألم الروحي والأثر المادي الذي يتركه في الجسد والعقل، فتتحول المشاعر المجردة إلى تجارب حسية ملموسة تعبر عن حدة المعاناة وواقعيتها.

من ناحية أخرى، تكشف هذه الصور عن عبثية العالم وتناقضاته المتعددة، حيث يتحول الشعور إلى حالة من الارتباك والاعترا ب داخل الذات، في مواجهة عالم يبدو غير متزن، مليء بالتناقضات والمفارقات التي تزيد من عمق الألم والتوتر. في هذا السياق، تصبح هذه الصور بمثابة أسلوب شعري لفضح هذا الاختلال الوجودي والاجتماعي، حيث يلتقي الشعور بالخذلان والضياع مع الواقع الخارجي المشوه والمضطرب.

باستخدام هذه الصور، لا يقتصر الشاعر على وصف حالة وجدانية فحسب، بل يقدم نقدًا ضمنيًا لهذا العالم المتناقض، موضحًا كيف أن الألم الداخلي لا ينفصل عن الواقع الخارجي، بل يتشابك معه في شبكة معقدة من التجارب المتضاربة. هذا التداخل بين الجسدي والروحي، والذاتي والموضوعي، يجعل النص الشعري ينبض بحياة واقعية تنبع من أعماق النفس، ويضفي على القصيدة بعدًا إنسانيًا حيويًا يثير لدى القارئ إحساسًا عميقًا بالمعاناة والوعي.

4.7. الرمز:

تحتفي صورة الشمس في البيت الشعري "الشمس إذا سقطت يومًا.. ستعود وتنجب ألف نهار" برمز قوي يجمع بين البعث والتجدد والأمل المتجدد. هذه الصورة تعبر عن دورة الحياة المستمرة التي لا تنتهي، وإرادة الإنسان الثابتة في الصمود والمضي قدمًا رغم كل المحن والآلام. ومن خلال هذا الرمز، يمنح الشاعر القصيدة طابعًا دراميًا مكثفًا، يثير المعنى ويعبر بعمق عن الحالة النفسية المعقدة التي يعيشها، ما بين القلق والتمزق والبحث المتواصل، لكنه لا يفقد شعلة الأمل التي تضيء طريقه.

تتميز لغة القصيدة بثقل الصور الشعرية المشبعة، التي تستحضر أصداءً متقابلة في علاقات متوترة تكشف صراع الذات الداخلية. فالذات تتجلى كالطيف الشفاف، والموتى يظهرون وكأنهم أحياء، والصرخة تتحول إلى صمت خائق، والقلم يصبح سكينًا حادًا يعبر عن الألم والغضب. ويقول الشاعر في نصه:

"وبين الأحياء الموتى"،¹⁶

"قلمي يتمرد في غضب"¹⁷

يبدو سكينًا في العين"¹⁸

من خلال هذه الجمل، تتحول الأشياء اليومية إلى رموز مظلمة تحمل أبعادًا عميقة من الدلالة، فالقصيدة لا تكتفي بالتزيين الأسلوبي، بل تفتح أمام القارئ طبقات متعددة من المعنى، حيث يصبح الكون بأسره استعارة صادقة للاغتراب الإنساني والمعاناة الوجودية.

يتدخل في فضاء القصيدة صور الطبيعة النقية والمضيئة، مثل الضوء والبدر، مع صور القمع والظلام، كالدم والقبر، لتظهر هذه التناقضات الصراعات الداخلية بين الرغبة القوية في الخلاص والتحرر، وبين الوقوع في فخ القهر والاضطهاد، الذي يمثل أقصى أنواع الألم الذي يمكن أن يعانيه الإنسان. بهذا التشابك بين الضوء والظلام،

تعكس القصيدة حالة الإنسان الذي يعيش بين أمل التغيير وخوف الانكسار، فتصبح بذلك تجربة شعرية عميقة تتجاوز حدود الكلمات لتلامس جوهر الوجود الإنساني بكل تعقيداته.

5. الحقول الدلالية في القصيدة:

اعتمد الشاعر "فاروق جويده" في قصيدته على مجموعة من الحقول الدلالية التي تكشف بوضوح عن حالة التيه والضياع النفسي والوجودي التي يعيشها، وهو ما يتجلى جلياً في اختيار المفردات الدقيقة التي تعبر عن هذه التجربة الإنسانية المؤلمة. فقد استحضر الشاعر كلمات ومصطلحات تعكس الانفصال عن الطريق وضياع الذات في متاهات الحياة، مثل: "الطرقا"، التي ترمز إلى المسارات المتلوية وغير الواضحة، و"الموج" الذي يوحي بالحركة المتأرجحة بين الثبات والانحيار، وكأن النفس تتلاطم بين أمواج متلاطمة لا تهدأ.

كما استخدم تعبيرات مثل "أهرب" و"الباب الصامت" التي تعكس الرغبة في الفكاك من الواقع المرير، لكنها تعبر أيضاً عن عجز محبط أمام صمت العالم وقسوته، فيما يرمز "الزمن المجنون" إلى البيئة المحيطة التي فقدت توازنها وأصبحت مليئة بالفوضى والاضطراب، مما يزيد من شعور التيه والقلق.

المفردات: "سقطت"، "تعبت"، "لم أعد أحتمل"، "انهزمت"، و"أخاف" تعبر عن الحالة النفسية المتدهورة التي يعانيها الشاعر، حيث يشعر بالاستسلام أمام أعباء الحياة الثقيلة، كما تجسد هذه الكلمات حالة اليأس والارتباك التي تصاحب رحلة البحث عن الذات في عالم مظلم لا يرحم.

وينتهي "جويده" هذه السلسلة الدلالية بكلمات مثل: "لأعود" و"نتلاشى"، في إشارة إلى التردد بين الرغبة في الرجوع إلى نقطة بداية قد تكون أكثر أمناً، والاندثار الكامل في تيه لا نهاية له، مما يعكس الصراع الداخلي بين الاستمرار والانكسار، بين الأمل والخذلان.

بهذه الحقول الدلالية، ينجح الشاعر في رسم لوحة نفسية معقدة، تعبر عن اضطراب الذات وهشاشتها في مواجهة قسوة الواقع، وتؤسس لبنية نصية تحاكي تجربة التيه والضياع على مستوى اللغة والمضمون معاً، فتتعمق القصيدة في التعبير عن أزمة الإنسان المعاصر بكل ما تحمله من تأملات وألم واحتجاج.

تتجلى القيمة الأسلوبية لهذا النص في قدرته على تحويل التجربة الذاتية الضيقة إلى رؤية كونية شاملة، تجعل القارئ ليس مجرد متلقٍ سلبي، بل شريكاً فاعلاً في عملية الكشف عن المعنى العميق للنص. بهذا التحول، وحد الشاعر الفكرة الجويديّة، فحوّل المعاناة الفردية إلى بنية لغوية غنية ومشحونة بالانفعال، تسلط الضوء على الذات الإنسانية في أقسى وأصعب حالاتها، تلك التي تختبر هشاشتها ومقاومتها في آنٍ واحد.

تكمن هذه القيمة أيضاً في قدرة الصور الشعرية على تجسيد هذا الألم والمعاناة بطريقة فنية مبتكرة، حيث تتشابك المشاعر المتناقضة لتخلق فضاءً لغوياً مرناً ينبض بالحياة والعمق النفسي. يعكس النص خطاً داخلياً عن الذات التي تعرف نفسها من خلال انقساماتها الداخلية، ولكنها في الوقت ذاته تنهض من رمادها كلما أوشكت على الفناء، لتؤكد حضورها بقوة وأمل متجدد.

إن هذا الأسلوب الكتابي، المتميز بال تكرار الإيحائي المقلق، والتنافر بين الصور المتضادة، والبنية اللغوية المرنة، يفتح آفاقاً واسعة لتجربة قراءة وجودية متكاملة، يدعو فيها القارئ إلى التفاعل مع ذلك الجرح الإنساني العميق، ويجعله يلامس بصدق ما تحمله الذات من ألم، صراع، ورغبة مستمرة في البحث عن المعنى. في النهاية، يُقضي هذا إلى وعي أعمق بالذات وإصرار متجدد على الماضي قدمًا في رحلة الوجود بكل ما فيها من تحديات.

6. التقديم والتأخير:

يستخدم النص الجويدي أسلوب التقديم والتأخير بشكل متقن لخلق موسيقى داخلية مميزة، ولإبراز المعاني المركزية وتكثيف الدلالة، ما يمنح المتن عمقاً إيقاعياً وحركياً يتناغم مع مضامينه النفسية والمعنوية. ففي جملة مثل:

"أبحث أحياناً عن نفسي" قدّم المفعول به "نفسى" على الجار والمجرور "عن"، وهذا التقديم لا يقتصر على ترتيب نحوي فقط، بل يضع "نفسى" في بؤرة الاهتمام منذ الوهلة الأولى، ما يؤكد أزمة الهوية والذات التي يمر بها الشاعر، ويجعل القارئ يواجه هذه المحنة الداخلية بشكل مباشر.

أما في العبارة: "ثم أدور وأعطيتها كأسى"¹⁹ فيُقدّم الفعل "أدور" على الفعل المعطوف "أعطيتها"، وهذا التقديم يحمل دلالة عميقة، إذ يبرز حركة التكرار والدوران (الضياع والاحتباس) قبل الفعل الواعي المتمثل في "الإعطاء". هذا يعكس حالة من الانغلاق الذهني والنفسي، حيث تهيمن حالة الدوران والبحث على الأفعال الإرادية.

وفي شبه الجملة "في هذا الزمن المجنون" التقديم هنا يحدد الزمان بشكل مباشر ويمنح الجملة طابعاً خطائياً حاداً، يسلط الضوء على ظرفية الزمان والظروف المحيطة التي تشكل الخلفية الشعورية للنص. أما في: "حين أطل على عمري"²⁰ فإن تقديم الظرف "حين" وتأخير الفعل "أطل" يضيف على الجملة رونقاً شعرياً سردياً، يخلق انتظاراً وتشويقاً، ويفتح أفقاً لتأمل الزمن والوجود. أثر التقديم والتأخير على النص فهو يولد إيقاعاً مرناً وحيوياً، بعيداً عن السرد التقليدي الجامد ويبرز المعاني التي يريد الشاعر تأكيدها، من خلال إبراز الكلمات أو المفاهيم المفتاحية. كما يعكس حالة الاضطراب النفسي والتفكيري التي تمر بها الذات، بما يعكس التوتر الداخلي والتشوش الذهني. إذ تتخذ القصيدة شكل مناجاة متقطعة. إن هذا التقديم والتأخير في البنية التركيبية يكسر انتظام الجملة المعتاد، ويعطي انفعالات النص صدًى أكثر حدة وعمقاً. بحيث يتقدم الانفعال على الفعل، والظرف على الجملة، مما يضيف كثافة دلالية ويمنح النص طابعاً انفعالياً ملحاً؛ ولعلّ هذا البناء التركيبي، رغم خلخلة انتظام الجمل، يعكس بدقة المناخ الفوضوي المتناغم مع الحالة النفسية المضطربة للذات، مؤكداً الصراع بين الرغبة في النظام وبين سيطرة الفوضى الداخلية.

7. خاتمة:

لا يقدم النص رؤية نحائية مغلقة أو خاتمة مطمئنة، بل يترك القارئ معلّقاً في فضاء من الأسئلة المفتوحة، متأرجحاً بين انكسار الأمل وإصرار خفي على استعادته. بين إعلان القهر وصورة السجن النفسي، تلمع رغبة في التحرر والبعث، بوعد بنهار جديد يولد من قلب ظلمة الليل، وصوت يصرخ متحدّياً قيد المنع رغم خنق الأوتار. هذه النهاية الإشارية تجعل من السقوط شرطاً للقيام من جديد، وتعطي النص طابعاً مأساوياً في مضمونه وخلاصياً في رسالته، إذ تتماهى الذات مع الشمس في قدرتها على السقوط والولادة المتجددة، مؤكدة بذلك انتماءها لدورة الحياة المستمرة بكل تناقضاتها وأحزانها وأفراحها.

8. الهوامش:

1. أبو محمد السجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق: علال الغازي 476_477.
2. فاروق جويده، قصيدة أبحث عن شيء يؤنسني، دنوان كانت لنا أوطان، ط2، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1997م ص8.
3. فاروق جويده، أبحث عن شيء يؤنسني، ص8.
4. المصدر نفسه، ص09.
5. المصدر نفسه، ص11.
6. المصدر نفسه، ص12.
7. المصدر نفسه، ص11.
8. المصدر نفسه، ص15.
9. المصدر نفسه، ص17.
10. المصدر نفسه، ص20.
11. المصدر نفسه، ص20-21.
12. المصدر نفسه، ص21.
13. المصدر نفسه، ص18.
14. عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ص49.
15. عثمان مقترش /البنى الأسلوبية. دراسة في مدونة الورد ل عثمان لوصيف، ط1، دار المتن للطباعة والنشر، ديسمبر 2024 الجزائر، ص170.
16. المصدر نفسه، ص11.
17. المصدر نفسه، ص12.
18. المصدر نفسه، ص13.
19. المصدر نفسه، ص09.
20. المصدر نفسه، ص19.

9. قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو محمد السجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق: علال الغازي 476_477.
2. فاروق جويده، قصيدة أبحث عن شيء يؤنسني، دنوان كانت لنا أوطان، ط2، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1997م ص8.
3. عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ص49.

-
4. عثمان مقيرش /البنى الأسلوبية. دراسة في مدونة الورد ل عثمان لوصيف، ط1، دار المتنبي للطباعة والنشر، ديسمبر 2024الجزائر.ص170.